احدا انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله
عليه وسلم رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرونهم ان يعبدوا الله ويجتنبوا عبادة الطاغوت
وهو اسم كل معبود عبد من دون الله فمنهم يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل من هدى الله يعني من هداه الله
الى دين الاسلام والايمان به وتصديق ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجبت عليه
الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلالة وفي هذه الاية ابين دليل على ان الهادي
والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم في سابق
علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتنظروا
مال من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر
والتكذيب كما نزل بهم قوله تعالى ان تحرص على هداهم يعني الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحرص يا محمد
على هدى هولاء وايمانهم وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرئ بفتح اليا وكسر الدال يعني لا يهدي الله
من اضله وقرئ بضم اليا وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم
من العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من
المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم
انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية قال ابو العالية وتقرير
الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة
فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا
حقيقة بعد فنائه وعدمه وهذا هو اصل شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت فرد الله عليهم ذلك وكذبهم في قوله تعالى بلى يعني بل
يبعثهم بعد الموت لان لفظة بلى اثبات بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان واوجده
من العدم ولم يك شيئا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشاة
الثانية اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا خلف
فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك لان القول فانه سبحانه وتعالى قادر على كل
شيء ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا خلف فيه وليعلم الذين
كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون يعني ان الله تعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزا فلا تعب عليه في
احيائهم وبعثهم انما يقول لشيء اراده كن فيكون على ما اراد الله لانه القادر الذي لا يعجزه شيء اراده عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يشتمني ابن ادم وما
ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فقوله
ليس يعيدني كما بداني وفي رواية كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق علي باهون من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله
ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا يعني
اوذوا وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابو جندل بن سهيل اخذهم المشركون
بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فهم المستضعفون فاما بلال فكانت اصحابه يجرونه الى

البطحا

البطحا بمكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول الله الله احد احد فاشتراه
منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما صهيب فقال لهم
اني رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه
فربح ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا صهيب ربح البيع وقيل اعطوهم بعض ما يريدون فخلوا
عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى
لحق طائفة بالحبشة ثم بواهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا
من المومنين فاووهم ونصروهم واسوهم وهذه الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على
ان الهجرة اذا لم تكن بها خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث
الاعمال بالنيات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا
يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه الحديث اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي
الله عنه قوله عز وجل لنبوئنهم في الدنيا حسنة يعني لنبوئنهم تبوئة حسنة وهو انه تعالى انزلهم المدينة
وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاءه يقول له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما
ادخر لك في الاخرة افضل ثم يتلو هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح الله لهم مكة ويمكنهم
من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل
المراد بالحسنة التوفيق في الدنيا والهداية ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل واشرف مما اعطاهم
في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كان هولا
الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المومنين المهاجرين والمعنى
لو كانوا يعلمون ما اعد الله لهم في الاخرة لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين وكانوا
من الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة
الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم
ذكر الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس
وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر على الشهوات المباحات
والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل والانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية
فالاول هو ابتدا السلوك الى الله تعالى والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الاية جوابا لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله
اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجابهم الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك
يا محمد الا رجالا يعني مثلك نوحي اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من اول مبتدا الخلق انه لم يبعث
الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاسالوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى وانما امرهم بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل
اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد ان يخبروا بان
الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب
لاهل مكة يعني ان كنتم يا هولا لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا في المعنى الجالب لهذه البا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)